الطب والطبيبات في المغرب الإسلامي

د / صفية ديب(*)

كان الفقهاء في الإسلام يحثون على تعليم المــرأة،فحكم وجوب طلب العلم ليس حكرا على الرجل، بل يشمل الجنسين الرجل والمرأة ،وقد استطاعت بعض النساء في الأقطار الإسلامية المختلفة مشرقا ومغربا، خلال العصر الإسلامي الوصول إلى مكانة علمية لا تقل أهمية على مكانة العلماء من الرجال خلال العصر الإسلامي .

ولكن داعي الموضوعية يفرض علنيا أن نعترف أن التعليم لم يكن منتشرا بين النساء انتشاره بين الرجال،وأن نسبة المتعلمات بين النساء كانت أقل بكثير من نسبة المتعلمين بين الرجال، ورغم هذا استطاعت المرأة المغربية في العصر الوسيط وبشهادة معاصريها من الرجال أن تنفذ إلى أقطار العديد من الشعب العلمية والأدبية، فالأخبار التي وصلتنا تفيد بأنها نظمت الشعر واهتمت بالنحو والصرف والعلوم القرآنية والحديث والفقه والحساب والفلك والطب .

وتدور هذه الدراسة حول الطب بشتى صنوفه والدور الرائد للنساء في هذا المجال لكن قبل الخوض في الموضوع وتفاصيله نطرح التساؤلات الآتية .

إلى أي مدى ساهمت المرأة في علاج أختها المريضة ؟ وماهي أساليب علاج المرأة ؟ وهل استطاعت المرأة التوفيق بين الطب العلمي والطب الشعبي ؟ وما هي المراكز الاستشفائية ؟

(*) أستاذة محاضرة المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر) .

أولا – المجالات الطبية لعمل المرأة :

مارست المرأة في المغرب الإسلامي وظائف طبية مختلفة وأتقنتها، وتتجسد هذه الوظائف في الطب بنوعيه العلمي والتقليدي، وكذا في فن التمريض و الولادة، وهذا ما سوف نتعرض إليه مبتدئين بـ:

١ - **المرأة والتمريض :** كانت المرأة وماتزال لا تتوانى عن المساهمة في خدمة المجتمع، فقد برزت في التمريض والإسعاف الصحي في السلم والحرب.

والظاهر أن بعض النسوة مارسن صناعة التمريض منذ القدم وقد أشارت الباحثة نوظار الأندلسي نقلا عن الطبيب صورانس إلى دور الممرضات، وأهم الخصائص الأخلاقية التي يجب أن يتحلين بها في العصر القديم [١] .

وتتحدث المصادر كذلك عن بعض النساء اللواتي مارسن هذه المهنة في صدر الإسلام ، وقمن بدور بارز في مداواة المرضى وتضميد الجراح، وجبر العظام، ووقف النزيف أثناء غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكن يعرفن بالآسيات [٢]. ومن أشهرهن ربيعة بنت معوذ بن عفران ، فقد كانت تغزوا مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعيين الجرحى وتحمل القتلى إلى المدينة المنورة [٣]،ورفيدة بنت سعد الأسلمية،صاحبة أول خيمة طبية متنقلة في صدر الإسلام[٤]. ولبلى الغفارية التي كانت تخرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مغازيه وتداوي الجرحى وتخبر عن ذلك بقولها « كنت أغزو مع النبي فأداوي وأقوم على المرضى»[٥] واستمرت المرأة في أدائها لهذه الوظيفة النبيلة عبر العصور،ونحن لا نشك في وجود ممرضات كن يصهرن على إسعاف المرضى بالبيمارستانات المنتشرة في المغرب الإسلامي، فلا يعقل أنها كانت خالية من ممرضات يسهرهن على راحة المريضات وخاصة أننا نعلم أن المنصور الموحدى (٥٨٠ ه/ ١١٨٤م) أنشأ بيمارستان يحوي على قسمين قسم للرجال وقسم للنساء [٦] ،

٢ - **المرأة والتطبيب :** لم يقتصر الطب على الرجال فقط، بل كان للنساء دور في ممارسته ،ولاشك أنه نبغ عدد لا بأس به منهن ، لكن لم تصلنا أسماء إلا القليل منهن ،ونظرا لأهمية الطب [٧] في الحفاظ على الصحة ، لجأت النساء من أجل تلك الغاية إلى ممارسته بطريقتين وهما الطب العلمي والطب التقليدي اللذان وإن أتفقا في الغاية إلا أن الفرق بينهما بيّن.

امتهنت بعض النساء الطب العلمي وفي مقدمتهن أم عمر بنت أبي مروان بن زهر (ت٥٨٠هـ /١١٨٤ م) فقد تعلمت الطب في مدرسة والدها وبيتها المليء برجال هذه الصناعة ووصفت بالمهارة في التدبيروالعلاج ، وكانت – على رأي ابن عبد الملك - تُستفتي في الطب لرجالهم فتزيد في ذلك مكانة على مكانتها التي يقتضيها مجدها الكبير وشرفها العظيم [٨].

وحذت حذوها في ممارسة هذه المهنة ابنتها (ت ٥٩٥ هـ/ ١١٩٩م) ، حيث كانت ماهرة في الطب كوالدتها عارفة بأمراض النساء والأطفال[٩]، وكذا مارستهعائشة بنت محمد الجيار المحتسب بسبتة والمتوفية في أواخر القرن التاسع الهجري في العصر المريني،وهي من بيت حسب ونسب وعلم أخذت عن أهلها حظا وافرا من التعليم فدرست الطب على يد صهرها محمد الشريسي الطبيب الماهر بسبته وقال عنها صاحب «بلغة الأمنية» أدركتها -رحمة الله عليها- وقد بلغت من السن نحو السبعين وكانت امرأة عاقلة عالية الهمة نزيهة النفس معروفة القدر لمكانة بيتها،لها تقدم بالطبع وجزالة في الكلام، عارفة بالطب [١٠]. كما بارزت فيه إلى جانب هذه وتلك سارة بنت أحمد بن عثمان الصلاح الحلبية(٧٠٠ه/ ١٣٠٠م) التي كانت تجمع بين قول الشعر والأدب والطب [١١] .

وهذه أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي نشأت في حجر أبيها الذي درسها الطب ففهمت أعراضه وكانت تقرئ الطب وتنظم الشعر [١٢] ويفهم من هذا، أن المرأة المغربية اجتازت مرحلة التعلم إلى مرحلة التدريس هذا النوع من العلوم ونقلها إلى الخلق لضمان بقائها واستمراريتها .

وقد ذكرت الباحثة فراج المئات من العالمات المشرقيات المتخصصات في شتى فروع العلم خلال القرنين (٧ ، ٨ هـ /١٣،١٤م) ولم تذكر في بحثها إلا عالمتين فقط ممن تخصصن في طب النساء وهما أم محمد هدية بنت علي بن عسكر (ت ٧١٢ه/ ١٣١٢م) وخديجة بنت نصر الله الصالحية [١٣]. وهذا ما ينطبق على بلاد المغرب في العصر الإسلامي،في نقص المتخصصات في هذا الميدان ربما أن السبب راجع إلى رفض الرجال أن تشتهر أسماء زوجاتهم أو بناتهم أو أخواتهم بين العامة على أساس أنهن من المحارم .

ويبدو أنه رغم تلك الأمثلة الواضحة، لبعض النماذج النسائية ،في ممارسة مهنة الطب ،إلا أن ابن عبدون له رأي آخر: ففي رسالته في الحسبة ينكر أنه كان للمرأة دور في هذه المهنة بالذات، وها هو يقول «إن المرأة لا يجب عليها ممارسة مهن معينة ومنها بصفة خاصة مهنة الطب، ذاكرا أن خطأ الطبيب ،دائما يكون جسيما ولا يستره إلا التراب ، والمرأة غير مؤهلة أو قادرة على القيام بهذه المهنة لما لها من جهل وخطأ أكثر من الرجال [١٤].

والظاهر أن تعليل ابن عبدون لحكمه المتمثل في استحالة أداء المرأة لمهام الطبيبة غير مقنع ولا يستند إلى أدلة من الواقع المعيش ، ولا حتى المؤهلات النفسية التي تتطلبها هذه المهنة ، فالأساس الذي قام عليه حكمه أخلاقي ضعيف لأن الخطأ يشمل الإنسان رجلا كان أو امرأة سواء في السلوكات أو المهارات، وأقوى ردنا لحكمه أن ممارسة النساء لمهنة الطب كانت أمرا شائعا منذ القدم وأن الطب هو المهنة التي خلقت للمرأة لما تتمتع به من رحمة وعطف وأكثر من أخيها الرجل ، ولعل ابن عبدون لو عاش في عصرنا ورأى رأي العين ماوصلت إليه المرأة في عالم الطب لغيّر رأيه وكان له غير ذلك الرأي

٣- المرأة والتوليد (القابلة):

إن مهمة التوليد، من المهن الرئيسية التي برعت فيها المرأة بشكل خاص منذ

القدم، وحتى يومنا هذا، وكانت المرأة التي تمارس تلك المهنة تسمى «القابلة»[١٥] وكان أول اتصال للعرب والمسلمين بالطب النسوي اليوناني عن طريق بولس الأجيني أو كما سموه (القوابلي) الذي عاصر بدايات ظهور الإسلام ، وكان ذا علم واسع بالجراحة النسوية والولادة، وكتابة المسمى (الثريا) كان من بين الكتب التي ترجمت في بيت الحكمة في بغداد – وهو عبارة عن موسوعة ضخمة في الجراحة العامة وفي جراحة الأمراض النسائية معا – وهو واحد من أكثر الكتب البيزنطيين المتأخرين تداولا بين تلامذة الطب العرب وممارسيه [١٦] .

وتواصل حرص الأطباء القدماء على صحة المرأة عموما وعلى الحامل خصوصا، لما لهذه المهنة من حرمة يحاسب ممارسوها إن استهانوا بها لأنها تتعلق بحياة الإنسان، وقد أشارت الباحثة نوظار الأندلسي نقلا عن الطبيب صورانس إلى الخصائص الأخلاقية التي يجب أن تتحلى بها القابلة ومنها أن تتصف قبل كل شيء بضمير حي، وأن تكون ناعمة عند لمسها لجسد المرأة، وأصابعها نظيفة ومقلمة، وذلك عندما تستدعى الضرورة للتعرف على وضعية الحامل، وفحص الجنين أو للتحقق من وقت الوضع ، ومن واجبها أيضا تفادي المعاملة السيئة للحوامل [١٧] .

والظاهر أن أطباء العرب والمسلمون، اهتموا هم أيضا بالطب النسوي ، ولعل أول ما ظهر من الكتب الطبية في هذا المجال هو كتاب «الحاوي في الطب « للرازي (٢٥١ ،٣١١ هـ/ ٨٦٥ ،٩٢٣م) حيث خصص صاحبه جزء للأمراض النسائية والتوليد [١٨] .كما خصص الزهراوي المتوفى بعد (٤٠٠ هـ/١٠٠٩م) أيضا جزءً من كتابه للموضوع نفسه. واشتملت أبحاثهما على عدة مواضيع تخص أمراض النساء عموما والحمل والولادة خصوصا [١٩].

ومما يدل على اهتمامهم أيضا بهذا المجال ما ذكره الزهراوي عن تعليم القوابل كيفية استخراج الأجنة إذا خرجت على شكلها الطبيعي، حيث ذكر أنه يجب على القابلة أن تعرف علامات الولادة الطبيعية كما نجده يصف للقابلة طريقة العمل في الولادة الطبيعية وغير الطبيعية [٢٠] .

ويبدو أن القابلات فهمن النصائح وطبقنها، فقد قمن بإجراء عمليات عظيمة الشأن في هذا المجال، منها تصحيح وضعية الجنين في الرحم ،وتقليبه تمهيدا للولادة بطريقة صحيحة ،ومنها تقطيع جثة الجنين إربا إربا عندما يموت في بطن أمه، أو عندما تكون الولادة مستعصية، نتيجة ضيق حوض الأم ،أو غيرها من العوامل المعرقلة لعملية الولادة [٢١] .

والظاهر أن المرأة كان يسمح لها بالتداوي عند الرجال الأطباء ومايؤكد ذلك طلب المعتمد بن عباد من الطبيب أبي العلاء بن زهر علاج زوجته الرميكية إثر مرضها بأغمات [٢٢].

ومهنة التوليد هي الأخرى ليست حكرا على المرأة، بل هناك من الأطباء المسلمين من مارسها ، حيث يذكر الغبريني أن أبا القاسم محمد المرسي البجائيين أندراس وبعض خواص الأطباء تولوا هذه المهنة النبيلة ببجاية في القرن (٧هـ /١٣م) [٢٣]، إلا أن الغبريني لم يذكر المراكز الاستشفائية المعدة لأداء الطبيب لهذه المهمة أكانت بيمارستانات أم منازل الحوامل كان يستدعى إليها لأداء مهمته؟.

والملاحظ أن عدة أمراض كانت تصيب النساء آنذاك عامة واعتبرت عيبا في حقهن، ففي حالة علم الزوج بأن زوجته مصابة بإحدى هذه العلل قبل الزواج بها ،لم يكن لها صداق إلا برضاه، أما إذا لم يعلم بوجود إحدى هذه الأمراض إلا بعد تمام الزواج فله الحق في استرجاع صداقه[٢٤].

ودرجت العادة أن تنظر القابلة الموثوق بها في عيوب النساء كالعقم والدمامل والالتهابات المهبلية وغيرها، فهي الوحيدة المؤهلة لفحص هذه الأمراض التي كانت سببا في العديد من المشاكل والشجارات ، وزيادة في الاحتراز كان يشترط أن تقوم بعملية الفحص امرأتان من القابلات لأنهن أعلم بطب النساء،ولم يكن يسمح للطبيب القيام بهذا الأمر ومعاينته حسب ما تقتضيه الأعراف المحلية[٢٥].

وتجدر الإشارة إلى أن شهادة القوابل كانت مهمة بالنسبة للقضاة في القضايا الاجتماعية كالزواج والطلاق والقضايا الأخلاقية،وغالبا ما يطلب من القوابل فحص النساء المعنيات في هذه القضايا ما إنكن حوامل أم لا [٢٦]. ويكمن هذا الفحص في حبس بطن المرأة فإن كانت حاملا فتجد القابلة سرتها تخفق فتقر بذلك للقاضي[٢٧].

والملاحظ أن مهنة التطبيب في العصر الإسلامي مشرقا ومغربا، كانت تخضع بصفة مستمرة لرقابة الدولة ممثلة في شخص المحتسب الذي يأخذ على الأطباء عهد أبقراط ويحلفهم على أمور من بينها أن لا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ،عند دخولهم إلى المرضى،وكان الطبيب أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (٤٨٤ هـ/ ١٠١٩م) يمنعه أدبه من نزع الحصاة عند المرأة رغم تمكنه من إجراء العمليات الجراحية، ولم يكن في زمانه من يماثله في هذا الفن [٢٨].

ومما لاشك فيه أن الاهتمام بصحة المرأة لم يكن مقتصرا على الرجال دون النساء، بل أن من يطلع على المؤلفات يتضح له جليا أن النساء في المغرب قد شاركن في هذا المجال بقدراتهن وبخبراتهن الطبية، حيث اشتهرت أم عمر بنت أبي مروان بن زهر السالفة الذكر في فن الولادة وأمراض النساء والأطفال، حيث حظيت في دولة الموحدين وخصوصا عندالخليفة المنصور الموحدي الذي كان لايقبل أحد سواها[٢٩]، أو ابنتها التي كانت ماهرة في الطب كوالدتها عارفة بأمراض النساء والأطفال، فكانتا تدخلان قصور الخلفاء وتباشران مرضى نسائهم[٣٠]. وممن تميزت أيضا في فن التوليد فاطمة الحاجيةالفاسية أخذت هذه المهنة عن القوابل اللواتي سبقنها فيها [٣١] .

وقد أورد لنا ابن خلدون شيء من الإسهاب والتفصيل ما تقوم به القابلة في عملية التوليد، وكيف تكون معنية على إخراج الوليد،وتكون لديها من الخبرة ما يساعدها في حالات تعسر عملية الولادة، ويضيف ابن خلدون أيضا، في أن تلك المهنة مختصة بالنساء دون الرجال في غالب الأمر، لأنهن ظاهرات بعضهن على عورات بعض[٣٢].

كما يشترط ابن خلدون أن تكون القابلة على دراية باستعمال بعض أنواع المراهم والأدوية التي تلزم المولود وأمه، و مدركة ما يلزم المولود لحظة الميلاد حتى الفطام. ويذكر أيضا بأن هؤلاء القوابل كن أعلم وأبصر بهذه الأمور من الطبيب الماهر(٣٣). وتلك شهادة عظيمة تتعلق بالمهارة الطبية للمرأة من مؤرخ علامة عرف بتحري الصواب والدقة الرأي.

٤- المرأة والصيدلة (العشابة):

امتهنت الكثيرات من النساء المغربيات الطب التقليدي، لاسيما المسنات منهن،فهذوات الخبرة في الحياة عامة وفي مداواة العلل والأسقام بما لهن من معرفة واسعة في الأعشاب الطبية، اعتمدن عليها في علاج المرضى نساء وأطفالا،وقد كانت خبرتهن في تحضير بعض العقاقير المستخلصة من النباتات، وساعدهن في هذه الممارسة الاستشفائية وفرة الغطاء النباتي في المغرب الإسلامي،وتنوعه وعلى سبيل المثال كانت بجاية -حسب شهادة الرحالة الجغرافي الإدريسي -تتوفر على العديد من النباتات الطبية ذاتأهمية في الدراسات الكيميائية والصيدلانية، ففي وصفه لمدينة بجاية في القرن (٦هـ / ١٢م) قال: ومن جهة الشمال بجاية جبل يسمى «ميسون « وهو جبل سامي العلو ... وفي اكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب» مثل شجرة الحضض والسقولو والقندريون والبرباريس والقنطاريون الكبير والرواند والقسطون وغير ذلك من الحشائش الطبية (٣٤) .

والجدير بالذكر أن ابن أندراس السالف ذكره كان جيد المعرفةبالنباتات والبحث في خصائصها العلاجية و لاشك أن أهم عامل ساعده على ذلك هو تجواله في الأمصار الإسلامية مشرقا ومغربا (٣٥).

وممن نبغن في الطب التقليدي في المغرب الإسلامي عائشة بنت عبد الرحمن بن الطاهر البطر يطيشية الرجراجية، تربت في بيت علم وتصوف وفضائل فكانت ناسكة قانتة موسومة بالتربية الروحية، وكانت لها خبرة في التداوي بالأعشاب(٣٦). ونذكر أيضا، فاطمة الحاجية الفاسية السالفة الذكر التي جمعت إلى جانب مهارتها في فن الولادة بمعرفة ممتازة بالأعشاب وفوائدها الطبية (٣٧).

ثانيا – أساليب علاج المرأة :

شاع الاعتقاد في الطب الروحاني في الأوساط الاجتماعية العامة في المغرب الإسلامي، فاتجه المرضى للأولياء الصالحين طمعا في الشفاء، وهذا نظرا لقلة الأطباء وعجزهم عن علاج بعض الأمراض التي تعاني منها المرأة، وتتجلى هذه الأساليب بوضوح من خلال بعض الطقوس الاستشفائية التي يمارسونها هؤلاء الأولياء داخل المجتمع

وكان نمط العلاج عند هؤلاء الأولياء ذا طابع ديني، لأن الشفاء في هذه الحالة يكون بيد الله سبحانه وتعالى، وما كان دور الأولياء إلا سببا في ذلك بفضل ورعهم، لهذا تعددت أساليبهم في علاج المرأة و تمثلت فيما يلي :

١-الـــــــــرقية :

ورد في لسان العرب أن الرقية [٣٨] هي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع والرقية للشفاء من عين أو حمى، و قد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرقية، ووردّفي البخاري عن عروة بن الزبير عن زينب ابنة أبي سلمة، عن أم سلمة رضى الله عنهم : أن النبي رأى جارية في وجهها سفعة فقال : « استرقوا لها فإن لها النظرة»[٣٩]

فقد كانت الرقية ولازالت تستخدم كعلاج للحالات المرضية المزمنة،والميؤوس من علاجها، وعلاج الصرع، والجن، والعين ،والعقم،فعلى سبيل المثال كانت المرأة العاقر يرقى لها في ماء المطر، بعد أن يوضع في إناء جديد وتقرأ عليه الفاتحة وآية الكرسي ،وقل هو الله أحد والمعوذتين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات وتشربه المرأة سبع ليال متتالية فإنها تحمل بإذن الله [٤٠]. وتضيف المصادر أن أبا عبد الله محمد بن يخلف الرباوي (ت٦٩٩ه/١٣٠٠ م)أنه كان يرقي النساء من فوق العباءة، فأكثر الناس عليه في أمر النساء فترك ذلك[٤١]. ونستشف من هذا أن الاعتراض هنا ليست الرقية في حد ذاتها،وإنما ممارستها عن طريق رجل على

النساء، وهناك اعتراضات أخرى مست بعض الأولياء بسبب لمسهم للنساء بغية شفائهن .وفي هذا يذكر أبو مدين شعيب « وقالت ليجماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزي» ثبت عندنا ولاية أبي يعزي ولكنه نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرأن ، ونحن نرى أن لمسهن حرام فإن نحن تكلمنا في هذا هلكنا ، وإن سكتنا تحيرناه « فقلت لهم (أي ردٌ أبي مدين) أرأيتم لو أن بنت أحدكم أو أخته أصابها داء لايطلع عليه إلا زوج، ولم يجد من يعاينه إلا الطبيب اليهودي أو النصراني ألستم تجيزون ذلك مع أن دواء اليهودي أو النصراني مظنون وأنتم من معاناة أبي يعزي على يقين من الشفاء ومن معاناة غيره على شك ؟ فبلغ كلامي أبا يعزي فكان يقول : إذا رأيتم شعيبا فقولوا له « عسى أن يعتقني كأنه استحسن جوابي عنه [٤٢].

ويعتبر المسح بالريق ممارسة استشفائية كان معروفا بالمغرب الأقصى في القرن (٦هـ /١٢م)، حيث ينسب إلى أبي تميم عبد الرحمن الهزميري إذ استعمله في شفاء مريضة بالبرص حيث مسح بريقه على موضع البرص المرة بعد المرة فذهب المرض عنها[٤٣]، ويذكر أن رجلا أتى إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي يشكو عناء زوجته من داء عظيم أصاب جسدها فأصر الزوج أن يمس الشيخ على الداء بيده فلم يريد الشيخ ذلك ،فحلفه الزوج فقبل لأن المرأة أصبحت في نظره مثل الجماد فمسح بيده على الداء فعفاها الله منه [٤٤] . وتضيف نللي عن المعالجة باللمس نقلا عن الراشدي أن أحمد بن عروس (ت ٨٨٦ هـ/١٤٨١م)» جعل يمسح على وجه الصبية ويتابع المسح كأنه يدفع شيئا تحت جلد وجهها[٤٥]، ومسح الشيخ أبي يعزي على عيني جارية تشتكي ألما فزال عنها الألم ، ويذكر أن أبا لقمان برزخان الأسود، كان يداوي مرضاه بالمسح على رؤوسهم [٤٦].

٢- التـــــــفْل :

إن التفل [٤٧] من الممارسات القديمة حيث ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أوصى أصحابه بالتفل والتعوذ لقوله :» فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فليلتفت حين يستيقظ ثلاثة مرات، ويتعوذ من شرها فإنها لاتضر»[٤٨].

وتذكر نللى سلامة،نقلا عن مناقب السيدة عائشة المنوبية أنها عالجت أحد المصابين في رجله بواسطة التفل فذهب عنه وجعه وتضيف نللى « ثم قالت -أي السيدة عائشة للمريض- قبل الله زيارتكم وقضى حاجتكم [٤٩] . كما مارس هذا النوع من العلاج أبي يعزي [٥٠].

٣- الـــــــــدعاء :

يعتبر الدعاء [٥١] من أكثر الممارسات المتصلة بالولاية رواجا [٥٢]، وتكاد لا تخلو ترجمة أو مصنف في مناقب ولي من الأولياء من الحديث عن دعائه المستجاب ،واجتماع الناس عليه لطلب الدعاء[٥٣]. ويعد الدعاء من أبرز أساليب العلاج الروحاني، الذي انتهجه علماء المغرب في اعتبارهم أنه مستجاب الدعاء لتقواهم ،فقد دعا الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي لامرأة مريضه بالداء العضال فشفيت بإذن الله،وعادت مع زوجها سالمة،كأن لم يصيبها شيء [٥٤] . وقد دعا هذا الشيخ أيضا لامرأة كان لا يعيش لها أولادها فاستجاب الله له وشفيت المرأة من مرضها [٥٥]. وهذا الولي عبد العزيز التونسي، كان إذا جاءه أحد للدعاء له والتبرك به كان يأمره بالذهاب إلى أخته لتدعو له [٥٦].

٤- الحجامة :

وسيلة طبية قديمة وشائعة لمعالجة بعض الأمراض،وقد مارسها الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولنا في البخاري ما يدل على ذلك قال الأنصاري: أخبرنا هشام بن حسان حدثنا عكرمة عن أبي عباس رضى الله عنهما أن رسول الله احتجم في رأسه[٥٧] ، ويذكر أن المرأة كانت تمارس هذا النوع من العلاج في الأسواق عند الرجال،كما كانت تمارسه أيضا عند النساء، فقد زاولته أم علي ابنت أبي غالب الإدريسي (ت٨٠١ ه/١٣٩٨م)، وعلمت هذه الصنعة لابنها المذكور[٥٨] ،وكان المحتسب ينهي الحجام عن الخلوة بالنساء في حوانتهم ونادى بأن يكونوا لهم مكان واضح وبارز في السوق تراه كل الأبصار بوضوح،تحت رقابة المحتسب باستمرار [٥٩].

٥- السحر والشعوذة :

دلت المصادر أن المرأة قد مارست السحر والشعوذة طلبا للعلاج،فزوجة يغمراسن كانت قد أوصت ولدها وهو ذاهب لزيارة الشيخ واضح أن يحضر لها من عنده حجابا، وأعطته لذلك كاغدا فكتب لها الشيخ الحجاب وأرسله مع ولدها [٦٠] .

كما انتشر العلاج باستخدام الخرافات، فكانت النساء يذبحن الذبائح،وخير مثال على ذلك نساء مدينة قسنطينة كن يعالجن الحمى وأي مرض أخر قد يصبن به بذبح دجاجة ،بيضاء ووضعها في وعاء مع كل ريشها ،ثم حملها إلى عين الماء وتركها بعد أن تربط حول الوعاء بضع شمعات مصنوعة من شمع العسل ،وكان البعض لا يعتقدون مثل هذه الخرافات،ويقوم بعضهم بمتابعة المرأة عندما يرونها تتجه نحو العين ،مع وعاء الماء والدجاجة كي يأخذونها بمجرد أن تقفل راجعة ،ثم يطبخون الدجاجة ويأكلونها [٦١] .

وكانت النساء المريضات تستعين بأحجار خاصة ذات ألوان شتى تجلب من السودان، تتنافس في أثمانها، ويذكر أنها نافعة في أنواع من العلاجات الطبية، كعلاج الثدي و تسهيل الولادة والرقية أيضا [٦٢] .

ومن خلال ما ذكرناه يتبين أن مثل هذه الممارسات الاستشفائية المتمثلة في كتابة التمائم، وإن كانت تصدر من الأولياء، إلا أنها لا تخلو من مظاهر السحر والشعوذة، كما تجدر الإشارة إلا أن مثل هذه المعتقدات مارستها حتى الطبقة الحاكمة.

ثالثا - المراكز الاستشفائية لمعالجة المرأة

اتخذت المرأة في المغرب الإسلامي مراكز استشفائية خاصة، توفر لها العلاج العضوي، والعلاج النفسي، اللازم لها ، ومن بينها البيوتات، والقصور، والربط، والزوايا والبيمارستانات (المستشفيات) .

١-البيوتات والقصور:

مما لاشك فيه أن المرأة امتهنت وظيفة التمريض والتطبيب والتوليد بهده المراكز، فإذا حان وقت الولادة أو في حالة مرض المرأة، قد تلجأ الأسر لاستدعاء الطبيبة أو

القابلة إلى البيوتات أو إلى القصور ليتم الكشف عنها، فقد كانت تستدعى كل من أم العلاء وابنتها من عائلة ابن زهر إلى دور وقصور الموحدين للكشف عن نسائهم[٦٣].

٢-الربط والـــــزوايا :

جمع رباط ومعناها في اللغة مرابط الخيول [٦٤]، ثم تحولت الكلمة إلى المكان الذي يعد لملاقاة العدو [٦٥] ثم تطورت الربط لتصبح أماكن للعبادة وإقامة للصوفية [٦٦] كما كانت ملجأ للنساء، فقد قال ابن زيات في روايته عن أبي عبد الله محمد بن خالص الأنصاري أن منية بنت ميمون الدكالي[٦٧] قالت : «حضرت برباط شاكر ألف امرأة من الأولياء»[٦٨].

ومما لاشك فيه أن هذه الأربطة، كانت تحقق الرعاية الاجتماعية للنساء،فكانت مقاما للأرامل والمطلقات والمسنات، و مركزا استشفائيا تجد بها المرأة العلاج[٦٩]، أما الزاوية فمثلها مثل الربط في أداء الوظيفة نفسها من حيث توفير المأوى والعلاج لبعض النساء، فيذكر محمد حسن نقلا عن كتب المناقب عن دور زاوية، أبي السعيد الباجي في فك بعض النساء من أسرى النصارى وإيوائهم الزاوية [٧٠]، وقد اشتهرت زاوية القرنبالي الواقعة قرب مكان يدعى السواري،- فضلا عن العديد من الزوايا – بإنشاد شيخها القرنبالي ودعائه التطبيب، إذ كانت النساء تقبلن عليه للمداواة فيقوم بالرقي وغيره [٧١]، ولما عيب عليه ذلك، اعترض بحجة أن الطبيب النصراني بتونس يتولى مداواة النساء دون حرج (٢) وكيف لايخول ذلك على سبيل المثال لطبيب المسلم [٧٢].

٣-البيمارستانات :

شهد المغرب الإسلامي ظهور مثل هذه المراكز الاستشفائية منذ القدم فقد وجد بتونس عدت بيمارستانات (المستشفيات) في المدن الكبرى كالقيروان وسوسة وصفاقس[٧٣]، ووجد في القيروان ربض المبتلين أو المجذومين[٧٤] ويسمى أيضا بالدمنة[٧٥]، ويقع قريبا من مقام الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي ، وفر للمرضى حاجتهم من مساكن يأوون إليها وسقية يسقون منها،وما ورد عن هذا الربض إشارة خاطفة للبرزلي يذكر فيها أنه خرب على أيدي أعراب بني هلال حين زحفهم على إفريقيا خلال القرن (٥ هـ ،١٠ م)[٧٦].

والواضح أن الطب نال أيضا عناية الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدى (ت٥٨٠ه، ١١٨٤م)، إذ كان له اهتمام كبير بحالة رعيته الصحية فكان كثير ما يبني البيمارستانا تفي مدن الخلافة الموحدية[٧٧] ولعل أهم بيمارستان عرف في عصره هو بيمارستان مراكش التي ابتناه المنصور ، ولنا فيه وصف لعبد الواحد المراكشي الذي يبدوا أنه عاين مشافي مصر وبغداد والشام ، فأصدر رأيه الدال على الإعجاب والتعظيم في قوله « لم أر في الدنيا مثله» ويقصد بيمارستان مراكش، ويذكر أنه يحوي على قسم للرجال وقسم للنساء ... وبه أدوية وأطعمة وكان الخليفة يزور المرضى جميعا بصفة مستمرة ، عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع ويسألهم عن مطالبهم، ومدى عناية الأطباء والممرضين بهم [٧٨] لكن المراكشي لم يخبرنا من كان يشرف على النساء المريضات أطباء وممرضين أم طبيبات وممرضات أم مزيج من هؤلاء وأولئك ؟ ولم يخبرنا عن الأمراض التي كان يختص بها قسم النساء ؟ وانتشرت أيضاالبيمارستاناتزمن المرنيين ومن بينها بيمارستان سيدي فرج بفاس[٧٩] وبيمارستان سلا بالرباط [٨٠] وغيرها .

والظاهر أن المغرب الأوسط حظى هو أيضا بوجود بيمارستانات حسنة البناء – حسب شهادة حسن الوزان – في كتابه « وصف إفريقيا[٨١] «وهذا ما أكده الحافظ التنسي في كتابه «نظم در والعقيان « قائلا :و»في بعض المدن المحاطة بالأسوار مثل قسنطينة وبجاية وتلمسان لازالت الحضارة ميزاتها في القرن التاسع حيث بها كذلك حمامات ومدارس ونزل ومستشفيات[٨٢]» وانتشر هذا النوع أيضا من المراكز الاستشفائية بتونس الحفصية، فقد ذكرها الزركشي لأول مرة عند تعريفه بالسلطان عبد العزيز أبي فارس الذي تولى الملك من سنة(٧٩٦،٨٣٧ ه/ ١٣٩٣،١٤٣٤) في قوله ...» أن من حسناته إحداث المارستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين ، وأوقف على ذلكأوقاف تقوم به[٨٣] «كما ذكر أبي ضياف اسم المارستان في قوله..» من مآثر أبي عمران عثمان بن المنصور ...أمره بالسبل قرب المارستان ينتفع به من بجواره لقلة الماء»[٨٤].

والغرض لذكرنا لهذه المراكز الاستشفائية ليس إحصاء عدد البيمارستانات التي عرفها المغرب الإسلامي، وإنما هدفنا هو معرفة علاقة المرأة بهذه المراكز وإسهاماتها في المعالجة الطبية كممرضة وطبيبة وقابلة، ومن حيث تلقيها العلاج ، وكذلك معرفة طرق تنظيم هذه المراكز وغالب الظن أن نظامها كان يسير على نهج بيمارستانات المشرق من حيث تقسيمها إلى قسمين ، قسم للرجال والأخر للنساء، وكل قسم منها به قاعات للأمراض المختلفة مفصولة عن بعضها، قاعة للكحالة، وأخرى للجراحة وثالثة للتجبير، وأخرى للأمراض الباطنية وتجهيز كل القاعة بالأثاث الذي يريح المرضى من أسّرة و فرش و مخدات [٨٥].

وتعد الحمامات أيضا مركزا من مراكز الاستشفائية لما تحويه من مياه ساخنة وأملاح معدنية مشبعة بالكبريت، فهي تساعد على علاج الأمراض الجلدية والعصبية، وأمراض الحساسية والنفسية، وكثيرا ما كانت تلجأ إليها المرأة بغية العلاج، وكانت مقسمة إلى قسمين ، قسم خاص بالرجال والأخر بالنساء [٨٦].

وصفوة القول جسدت النساء القابلات دورين أساسين في المجتمع المغربي هما: مداواة أمراض النساء والشهادة في بعض القضايا الاجتماعية بطلب من القضاة، ونستشف أيضا أن الأطباء كانوا على دراية واسعة بالعديد من الأمراض النسائية ، وطرق علاجها فضلا عن تعليم القابلات طرق فحص النساء وتوليدهن .

والظاهر أن الطب التقليدي كان أوسع انتشارا مقارنة بالطب العلمي، الذي مارسته قلة من النساء مثل عائلة بني زهر وأخريات، وشاركت المرأة المغربية في العصر الإسلامي، مشاركة فعالة في علاج المرضى وتمريضهم، وتزودت لأداء هذا الواجب بتعليم الطب وخصوصا ذلك الخاص بفن التوليد، ومسك الختام يتبين لنا أن أطباء العرب المسلمين أولوا أمراض النساء والولادة اهتماما كبيرا وهذا ما يعكسه لنا تراثهم العلمي الطبي الذي يعد حجر الأساس في بناء الطب الحديث، وإعطاء دفع قوي لعجلة التقدم في مجال التوليد انطلاقا من معارف طبية التي خلفها لنا كل من الرازي في كتابه «الحاوي في الطب» و الزهراوي في كتابه «التصريف « وابن سينا في كتابه «القانون» .

قائمة المصادر والمراجع

١- نظار الأندلسي، المرأة في شمال إفريقيا القديم، إشراف سعيد بوزيدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس،ج٢ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠، ص ٤٣٠ .

٢- وكان العرب يطلقون اسم الآسيات والآواسي على النساء العربيات اللائي يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام ، وغير ذلك من أعمال الإسعاف ، وقد سمّين بهذا الاسم لأنهن يعالجن الجريح ويواسينه ، أحمد شوكت ، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، مطبعة دمشق ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .

٣- البخاري(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري، طبعة فريدة مصححة ومرقمة، مرتبة حسب العجم، المفهرس وفتح الباري ومأخوذ من أصح النسخ ومذيلة بأرقام طرق الحديثة، ط٢، دار السلام، الرياض دار البيضاء،دمشق ،١٩٩٩ باب المرأة والتمريض، رقم ٥٧٦٩،ص ١٠٠٦ .

٤- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع جمعية المعارف المصرية، مصر دار إحياء تراث العربي ، بيروت ،(د،ت)، ج٥ ،ص ٤٥٣ .

٥- العسقلاني (بن حجر أحمد بن علي) الإصابة في تمييز الصحابة، مصورة عن طبعة مصر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د،ت) ج٨، ص ١٨٣ .

٦- المراكشي (عبد الواحد) المعجب في تلخيص أخبار الغرب ، تحقيق، محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٨٦، ٢٨٧ .

٧- الذي يصفه ابن خلدون بأنه ينظر إلى جسم الإنسان من حيث سلامته ومرضه، فقد حاول صاحب هذه الصنعة حفظ الصحة وبرء المرضى بالأدوية والأغذية المناسبة بعد أن يعين المرض الذي يخص كل عضو ، أنظر ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة وحققها وعلق عليها، علي عبد الواحد وافي، ط٢، لجنة البيان العربي بألمانيا ١٩٦٥، ص ١٠٧٩ .

٨- المراكشي (بن عبد الملك أبي عبد الله الإدريسي) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس السفر ٥، القسم الأول والثاني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥، ص ٤٨٣، ابن أبي أصيبعة (موثق الدين أحمد بن القاسم السعدي) ، عيون الأنباء في طبقة الأطباء ، صححه باسل عيون السود طبعة دار الكتاب العلمية ، ١٩٩٨ ، ص ٤٨١ .

٩- الكانوني (محمد بن أحمد العبدي) الطب العربي في عصر الدول المغرب الأقصى ، تحقيق ، علال ركوك ، ومحمد بالوز، ط١، منشورات كلية الطب والصيدلة بالرباط ٢٠١٣، ص ٩٢ ، ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء ص ٤٨١ ، الكانوني، الطب العربي، ص ٩٢ .

١٠- مؤلف مجهول ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرسْ وأستاذ وطبيب ١٩٨٤ ، ص ٣٤ .

١١- ابن رشيد (أبو عبد الله محمد بن عمر) الرحلة دراسة وتخليل ، أحمد حداد اعتنى به هيثم جمعة هلال ، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٣،ج١، ص ٢٨٠ ،ابن القاضي (أبوالعباس المكناسي)،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والورقة، الرباط ١٩٧٤ ، القسم الثاني ، ص ٥٢٢ حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات من الفتح الإسلامي إلى ١٩٣٤ ، ط٢، مكتبة المنار تونس ١٩٦٦، ص ٨١، الزهراوي ناجية الزهراوي، معجم شهيرات المغرب،ط١، منشورات المجلس العلمي بمراكش، عدد٧، المطبعة الوراقة الوطنية مراكش ٢٠٠٨، ص ١٥٩، محمد شراد ، موسوعة نساء شاعرات ، مراجعة وتحقيق ، حيد كامل ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ٢٠٠٦ ، ٢٠٣ .

١٢- ابن الخطيب(ابو عبد لسان الدين محمد) الإحاطة في أخبار غرناطة حققه محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، مكتبة الخانجي القاهرة ، المجلد١، ١٩٧٣ ، ص ٢٣٠ ، محمد شراد ، موسوعة نساء شاعرات ، ص ٣٨ .

١٣- وسيلة فراج ، إسهام المرأة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي (٧ ه ، ٨ /١٣، ١٤)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، الجزائر ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ .

١٤- ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي)، ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال المعهد الفرنسي للأثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٦ .

١٥- استعير فيها معنى الإعطاء والقبول ، كأن النفساء تعطيها الجنين وكأنها تَقْبَلُهُ ، ابن خلدون المقدمة ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ ، ص ٣٣٤ .

١٦- زيدان عبد الباقي ، المرأة بين الدين والمجتمع، سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب ، القاهرة ، (د،ت) ص ٦٥ .

١٧- نوظار الأندلسي ، المرأة في شمال إفريقيا القديم ، ج٢ ، ص ٤٣٠.

١٨- للمزيد من المعلومات أنظر، الرازي(أبو بكر) الحاوي في الطب ، مراجعة وتصحيح محمد اسماعيل منشورات محمد على بيضون لنشر الكتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، مجلد ٣ ، ج٩ ، (في امراض الرحم والحمل) من صفحة ١٣٩٩ إلى صفحة ١٤٣١ .

١٩- للإطلاع أكثر أنظر الزهراوي (أبو القاسم خلف الله الأندلسي) كتاب الزهراوي في الطب ، تحقيق ، ودراسة ، محمد ياسر زكور مديرية احياء ونشر التراث العربي المغرب من ص ٢٦٠إلى٣٠٥.

٢٠- المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .

٢١- العمراني عبد الله ، الطب الأندلسي بين هفوة الإهمال وغفوة النسيان ، مجلة دعوة الحق ، مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الرباط ١٩٨٣، ص ٣٧ .

٢٢- الكانوني،الطب العربي ، ص ٤٤ ، ٧٥ .

٢٣- الغبريني (أبو عباس أحمد) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابع ببجاية ، تحقيق ، رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ١٠١ .

٢٤- الباجي (أبو الوليد سليمان بن لخلف) ، فصول الأحكام وبيان مامضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق، الباتول بن علي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ١٩٩٠ ، ص ٣٥٢ .

٢٥- وفاء العجوري ، مقتطفات من أوضاع المرأة الأندلسية في القرن (٥ه،١٠م) من خلال فصول الأحكام لأبي الوليد الباجي ، مجلة دعوة الحق ، مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملة المغربية ، يوليو ٢٠١٠ ، ص ٦٥ .

٢٦- سمية مزدود ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط ، أواخر قرن (٦ه، ١٢م) ، بداية القرن ١٠، ١٦)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، نوقشت بجامعة قسنطينة ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، ص ٢١٦ .

٢٧- المازوني (أبو زكرياء يحي المغيلي) الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر ، مجلد ١ ، رقم ١٣٣٥، ورقة ٤٥٠ .

٢٨- الكانوني،الطب العربي ،ص ٥٩ .

٢٩- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص ٨٠ ، صفية ديب ـ «تعليم المرأة وإسهاماتها الفكرية» مجلةرسالة المسجد، العدد ٣ ، مجلة محكمة تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، ربيع الأول ١٤٣٠ ه مارس ٢٠٠٩ ، ص ٧٧ .

٣٠- الكانوني الطب العربي ،ص ٩٢ .

٣١-المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .

٣٢-ابن خلدون ، المقدمة، ط، ٢٠١٠، ج١، ص ٣٣٤ .

٣٣-المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

٣٤ –الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، المجلد١، ١٩٨٩ ، ص ٢٥٩ .

٣٥-الغبريني ، عنوان الدرية ، ص ١٠٢ .

٣٦- السعدي(عبد الله بن محمد الرجراجي) السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجين صحبة الرسول ، تحقيق ، محمد بن عبد الله الرجراجي، مطبوعات ، معهد الشعبي ، الصويرة ، ١٩٨٧، ص ٩٥، عبد العادي التازي ، المرأة في التاريخ الإسلامي ، نشر دار الفتك ١٩٩٢ ، ص ٢١٠ .

٣٧- الكانوني الطب العربي ،ص ٢٠٥ .

٣٨-و الجمع رّقَى، ونقول استرقيته فرقاني رقية ، فهو راق، ابن منظور (محمد بن مكرم بن على) لسان العرب ، ط١، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٧، المجلد ٣ ، ص ١١٠ .

٣٩- البخاري الصحيح باب رقية العين ، رقم الحديث ٥٧٣٩ ، ص ١٠١٤ .

٤٠-البسكري(عيسى بن سلامة) اللوامع والأخبار في منافع الأخيار ، مخطوط المملكة المكتبة الوطنية ، بالجزائر ، رقم ١٧٦٧، ورقة ٥٧ .

٤١-الدباغ وابن ناجي ، معالم الإيمان في معرفة أهل قيروان ، تصحيح وتعليق ، ابراهيم شيوخ صنفةأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ، أكمله وعلق عليه ، أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي ط١، ١٩٦٠، ص ٤٧ .

٤٢-ابن الزيات (يحي التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب ، ط٢ ، الرباط ١٩٦٧ ، ص ٣٢٣ .

٤٣-ابن القنفذ (أحمد بن الحسين القسنطيني) أنس الفقير وعز الحقير اعتنى بنشره وتصحيحه ، أدلوف فور، ومحمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي مطبعة أكدال، الرباط، ١٩٦٥ ، ص ٣١، ٣٢ .

٤٤-ابن الصباغ (محمد بن محمد القلعي) بستان الأزهار في مناقب رمز الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم ١٧٠٧، ورقة ٣٣ .

٤٥-نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، مساهمة في تاريخ الاجتماعي والديني، ط١، عن منشورات ، كلية الآداب والفنون ، تونس منوبة ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٤٣ .

٤٦-ابن الزيات، التشوف، ص ٣٢٣.

٤٧-التَفْلُ ، تفل ، وتفيل ، تفلا ، بصق ومنه تفل الراقي ، والتفل والتفال البصاق والتفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق ، ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد١ ، ص ٣٠٥ .

٤٨-البخاري، الصحيح، باب الرقي بفاتحة الكتاب، رقم الحديث ٥٧٣٦، ص ١٠١٣.

٤٩-نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع، ص ٣٥٢ .

٥٠-ابن الزيات، التشوف، ص ٣٢٣ .

٥١-أصل كلمة الدعاء مصدر لفعل دعا ، وتعني الطب والسؤال والرغبة والاستعانة والعبادة والنداء ، ابن حضر العروسي (أبو عبد الرحمن)، الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، المجلد ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٢٩، ٣٢ .

٥٢- نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع، ص ٣٥٢ .

٥٣-راجع كتاب معالم الإيمان للدباغ وابن ناجي ، التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات، ص ٩٤ ، ١٤٨ ،٢٤٠ .

٥٤-ابن الصباغ، بستان الأزهار، ورقة ٣٢ .

٥٥-المصدر،نفسه .

٥٦- ابن الزيات، التشوف ، ص ٩٤ .

٥٧-البخاري ،الصحيح ، باب الحجامة على الرأس ، رقم الحديث ، ٥٦٩٨ ، ص ١٠٨ .

٥٨-الكانوني،الطب العربي ،ص ١٥٣ .

٥٩-ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة ، تحقيق ، الطاهر أحمد مكي ط٤ ، دار المعارف ١٩٨٣، ص ١٧٢ .

٦٠- ابن الصباغ ، بستان الأزهار ، ورقة ٢٠.

٦١-الوزان (حسن الزياني) وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ،٢٠٠٥ ، ص ٤٣١ .

٦٢-عبد الله أحمد حسين موسى ، قسنطينة في العصر الحفصي، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية نوقشت بقسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، ٢٠١٢ ،ص ٣٦٥ .

٦٣- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ،ص ٤٨١ ، الكانوني، الطب العربي ،ص ٩٢ .

٦٤-الرازي (محمد بن أبي بكر عبد القادر) مختار الصحاح ، دار الكتب الحديث ، الكويت ، ١٩٦٤ ، ص ١٠٦ .

٦٥-ابن منظور ،لسان العرب ، مادة ربط ، المجلد ٣، ص ٢٢ .

٦٦- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس منشورات وزارة الثقافة دار المناهل الرباط، ٢٠١١،ص ٣٩ .

٦٧-أصلها من مكناس، ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش، وبه توفيت عام (٥٩٥ه/ ١١٩٩م)، دفنت خارج باب الدباغين، ص٣١٦ ،ابن الزيات ، التشوف،ص٣١٦ .

٦٨-نفسه .

٦٩-أحمد بوزيد «عمائر انفردت بها الحضارة الإسلامية ، مجلة الوعي الإسلامي ،العدد ٤٩٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٠ .

٧٠-محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، منشورات ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس ١٩٩٩ ، ج٢، ص ٦٣٥ .

٧١-نفسه .

٧٢-المرجعنفسه .ج٢ ، ص ٧٤٩ .

٧٣-أحمد بن عامر ، الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٤ ، ص ٩٣ .

٧٤-البرزلي، (أبو القاسم بن أحمد) جامع مسائل الأحكام لما نزل من الأقضية بمفتيين والحكام ، تحقيق محمد الحبيب ، الهيلة، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ٢٠٠٢ ، ج٣، ص ٢٢١ .ويذكر الرصاع أن المجذوم تشتد رائحته فيسقم بذلك من طال مجلسه معه ، أو ضاجعه ، أو جالسه ، ولهذا أمر الأطباء بترك المخالطة له ،و ليس ذلك على طريق العدوى ، بل لأجل أن الرائحة الخسيسة تسقم من واضبها ، انظر ،الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية ، حققه ، ودرسه محمد حسن طبعه دار المدار الإسلامي ، طربلس١٩٨٢ ، ص ١٥٠

٧٥-البرزلي، جامع مسائل الأحكام،ج٥، ص ٤١٥ .

٧٦-المصدر نفسه، ج٥، ص ٤١٤.

٧٧-محمد المنوبي ، حضارة الموحدين ط١ ، الرباط ١٩٨٩ ، ص ٩٢ .

٧٨-المراكشي (عبد الواحد) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، ١٩٦٧، ص ٢٨٦

٧٩- الكانوني، الطب العربي ،ص ١٣٨ .

٨٠-ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعهد والديار،تحقيق محمد كمال شياتة، طبعة المملكة المغربية بالاشتراك مع دولة الإمارات العربية المتحدة (د،ت)، ص ١٥٢ .

٨١-حسن الوزان ، وصف إفريقيا، ص ١٥٢ .

٨٢-التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، حققه وعلق عليه محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، المكتبة الوطنية بالجزائر ١٩٨٥، ص ٤٢٢ .

٨٣-الزركشي (بدر الدين محمد)، تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية، ط١، القاهرة (د،ت)، ص ١١٦ .

٨٤-ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار الملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق للجنة من الدولة من الشؤون الثقافية، ١٩٦٦، ص ١٨٧ .

٨٥-كرم حلمي فرحات، « مظاهر الرعاية الصحية والطبية في العصر الأموي « مجلة التاريخ الإسلامي ، العدد ٢٢ ، مجلة علمية محكمة يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ج١، ٢٠٠٨ ، ص ٣٤ .

٨٦-الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء الصلحاء بفاس ، تحقيق ، عبد الله الكامل الكتاني وآخرون دار الثقافة دار البيضاء ٢٠٠٤،ج٣، ص ٢٧٠ .